

## نقد المرأة الشعر في الحجاز في القرن الأول والظواهر الاجتماعية التي ساعدت على ظهوره

أ. د. داود سلوم

د. محمد احمد ربيع (\*)

ظهرت في الحجاز بعض الظواهر الاجتماعية في القرن الأول لم تظهر من قبل ولم تظهر من بعد:

### ١. نقد المرأة الشعر:

لم يجتمع في تاريخ النقد الأدبي العربي حتى في أبهى عصوره هذا التجمع النسائي حيث توجه عدد من النسوة من صفوة نساء قريش وبعض نساء العرب الأخريات إلى نقد شعر الغزل الذي شاع في الحجاز لأسباب سوف نشرحها فيما يأتي. ولعل من أسباب هذا التوجه الحرية التي نالتها المرأة في الإسلام وتضخم شخصيتها بسبب الثقافة التي أتاحها الإسلام لها ونمو شخصيتها واستقلالها. فان نساء قريش قد وجدن من خلال الاطلاع على أدب العصر انه من حقهن تناول هذا الشعر بالنقد ما دام هذا الشعر يدور في معظمه على الغزل. فقد تعرضت المرأة للشعراء ومقدار إصابتهم القول في وصف حقيقة نفسية المرأة أو فشلهم في ذلك وان المرأة لا قدر على معرفة ما يرضي طموح المرأة ويرضي غرورها حين يتعرض الشاعر لوصفها أو التغزل بها أو مخاطبتها. وظهر في هذه البيئة الحجازية عدد من النساء

(\*) استأذ مشارك في جملة جرش الأهلية

الناقداً بالإضافة إلى النساء اللواتي تغزل بهن الشعراء. وقد ترك لنا تاريخ الأدب عدداً من هذه الأسماء التي تناولت نقد شعر الغزل وهن:

١. سكينه بنت الحسين: وهي أكثرهن ثقافة وأدقهن في تحديد محاسن ومعايب الشعراء وهي راس مدرسة الناقداً العربيات.

٢. عقيلة بنت عقيل: وهي شخصية غير محددة ولعل النقاد كانوا باسمها عن ذكر اسم سكينه إكراماً لها وتخرجاً من ذكرها.

٣. عائشة بنت طلحة: وكانت سيدة من سيدات قريش ذات جمال ومال تزوجت عدداً من المرات من أغنياء قريش.

٤. فاطمة بنت عبد الملك بن مروان: وزوجة عمر بن عبدالعزيز.

٥. أم حبيب: تغزل بها نصيب بن رباح.

٦. غاضرة: جارية بشر بن مروان.

٧. قطام: خطيبة عبدالرحمن بن ملجم.

٨. عزة: محبوبة كثير عزة.

٩. بثينة: محبوبة جميل بثينة.

١٠. امرأة عمياء.

١١. جارية سوداء.

وسوف يرد خلال البحث نقد هؤلاء النسوة مفصلاً مع الشعراء الذين ناقشناهم في أشعارهم.

## ٢. شعراء الغزل:

ظهر في الحجاز وما حول الحجاز جماعة من شعراء الغزل الحسي والعذري استقطبت اهتمام المغنين وانضم إليهم كبار الشعراء مثل الفرزدق وجريروان

هؤلاء الشعراء الحجازيين أمدوا المغنيين بالأشعار التي غنيت فأثارت اهتمام المرأة بهم.

فمن الذين تناولهم نقد المرأة وذكرت أسماؤهم في مجالسهن هم:

١. عمر بن أبي ربيعة رأس المدرسة الحجازية.

٢. جميل بثينة.

٣. كثير عزة.

٤. نصيب بن رباح.

٥. الفرزدق.

٦. جرير.

٧. الأحموس.

٨. محمد النميري.

٩. عروة بن أذينة.

١٠. ذو الرمة.

وهناك عدد آخر من الشعراء مثل الحارث بن خالد المخزومي والعرجي وكانت فتيات الحجاز ومتقفات النساء على اطلاع تام على أشعار هؤلاء الشعراء وكان أكثرهن معرفة بهذه الأشعار الناقداً اللواتي تعرضن لنقد هؤلاء الشعراء، ومما يدل على اهتمام المرأة بالشعر الغزلي ما يذكره كتاب الاغاني في رواية عن ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت تحدث أحد أحفاد عبد الله بن مصعب:

"مررت بجديك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائنه ومعني دفتر، فقال: ما هذا معك ودعاني فجئت وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال: ويحك

تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة إن لشعره موقعا من القلوب ومدخلا لطيفا. لو كان شعر يسحر لكان هو، فارجعي به ففعلت<sup>(١)</sup>.

### ٣. الغناء:

كان بين مدرسة الغناء في الحجاز وبين ازدياد نصوص شعر الغزل ترابط عجيب، فإن أحدهما كان يؤثر في الآخر، وكان الغناء وسيلة من وسائل شيوع شهرة الشاعر فذلك قد شجع الشعراء المغنين على الغناء بشعرهم وحث المغنون الشعراء على النظم في الغزل للغناء به.

وكان موقف الخلفاء والولاة في الحجاز متضاربا من المغنين والمغنيات ولم يكن هذا ليؤثر كثيرا في عدم انتشار الغناء ولا في تقبل المجتمع الحجازي له وان ردود الفعل التي كان يبدونها الخلفاء كثيرا ما كانت تتسحب أمام تشجيع أغنياء الحجاز للمغنين والمغنيات.

وكان عبدالله بن جعفر أحد الذين كانوا يبذلون المال الوفير لهؤلاء المغنين وقد كان معاوية يعيب ذلك على عبدالله بن جعفر حتى اسمعه غناء فطرب فقال عبدالله بن جعفر:

"يا أمير المؤمنين إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان فهل ترى به بأسا؟ فقال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان"<sup>(٢)</sup>.

وكان ولاة خلفاء بني أمية يشتدّون أحيانا من المغنين ويضايقونهم ثم تجدّهم سرعان ما يعودون إلى الرضى، دخل عثمان بن حيان المري وأبنا للوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ هـ إلى المدينة واجل أهل الغناء ثلاثا للخروج منها.

(١) الاغاني ١/ ٨٦ طبعة دار الثقافة بيروت.

(٢) العقد الفرید ٩/ ٤ والاغاني ٢/ ١٧٤.

" فإخذ ين أبي عتيق سلامة إليه في ثوب زاهدة فقال: اقرني للأمير. فقرأت، فقال: إحدني للأمير فحركه حداؤها، فقال لها: غبري (أي غني غناء المتصوفة) فاعجب بذلك الوالي، فقال له: فكيف لو سمعتها في صناعتها؟ فغنت فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال: والله ما مثلك يخرج عن المدينة، فقال له ابن أبي عتيق: يقول الناس: أذن لسلامة في المقام وأخرج غيرها، فقال عثمان: قد أننت لهم جميعاً" (٣).

وكان المغني أحياناً في اختياره غناه أقرب إلى الشاعر الهجاء والشاعر المداح. فقد اغضب عبدالرحمن بن حسان بن ثابت المغني طويس فغنى لعبدالله بن جعفر وعبدالرحمن حاضر أبياتاً في الغزل فطرب القوم وقالوا:

" أحسنت والله يا طويس! ثم قال: يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر؟ قال لا والله ما أدري لمن هو إلا أني سمعت شعراً حسناً قال: هو للفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت في عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبدالرحمن برأسه على صدره، فلو شئت الأرض له لدخل فيها...." (٤).

وكان الغناء أشبه بالإعلان عن الشاعر أو المرأة بل دخل الأمر باب التجارة أحياناً، " قال مسكين الدارمي وقد تنسك لتاجر عراقي لم يبيع خمره السود ما تجعل لي على أن احتال لك بحيلة تبيعها كلها على حكمك؟ قال: ما شئت.... فقال شعراً رفعه إلي صديق له من المغنين فغنى به:

قل للمليحة في الخمار الأسود

ماذا فعلت بزاهد متعبد

(٣) الأغاني ٨ / ٣٤١.

(٤) الأغاني ٣ / ٣٢.

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا: قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الأسود فلم تبقى مليحة بالمدينة إلا اشترت خمارا أسود....<sup>(٥)</sup>

وفي سبيل أن ندرك ما أحدثه الغناء في الحجاز من اثر ومقدار إعجاب الناس بالمغنين والمغنيات ورعاية أصحاب الجاه لهم فعائنا أن ننظر في بعض نصوص الاغاني:

خرجت جميلة (مولاة بني سليم) حاجة فخرج معها من الرجال المغنين والنساء والأشراف وغيرهم جماعة وحج معها من القيان مشيعات لها ومعظمات لقدرها ولحقها خمسون قينة وجه بهن موالينها معها وأعطوهن النفقات، وحملوهن على الإبل في الهوداج والقباب وغير ذلك.

فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهم درهما فما فوقه حتى رجعت وتخابر من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الطريف والهوداج والقباب فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجمع سفرا طيبا وحسنا وملاحة.

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريضة وابن محررز والهذليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف ودخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا هو معها وجماعة من الأشراف مما سمينا وغيرهم من الرجال والنساء وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم.

فلما قضت حجبها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلسا فقالت: للغناء أم للحديث؟ قالوا: لهما جميعا قالت: ما كنت لأخلط جدا بهزل، وأبت أن تجلس للغناء فقال عمر

(٥) العقد للفريدي ٩٦/٤.

بن أبي ربيعة: أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فإني خارج فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت في جمع أكثر من حجبها بالمدينة فلما قدمت تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء فدخلت بأحسن مما خرجت منه. وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوققوا على أبواب منازلهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم، ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين وما استتشف من ذلك كبير ولا صغير فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء فقالت لعمر بن أبي ربيعة إني جالسة لك ولأصحابك وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء<sup>(٦)</sup> فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر وغنى ابن سريج وسعيد بن مسجع ومعبد وابن محرز والغريض وابن عائشة و (الثنائي): نافع وبديخ والبهزليون الثلاثة بصوت واحد ونافع بن طنبورة (الملقب نقش الغضار) ومالك وطويس (أبو عبد النعيم) والدلال (أبو زيد) وهيت (الثنائي): برد الفؤاد ونومة الضحى والثلاثي فيد ورحمة وهبة الله.

واستمر المجلس ثلاثة أيام " فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس فضربت ستارة وأجلست الجواري كلهن فضربن وضربت. فضربن على خمسين وتراً فترلزت الدار<sup>(٧)</sup>، ثم غنت عزة و (الثنائي) حبابة وسلامة وخليدة و (الثنائي): عقيلة والشماسية و (الثلاثي) فرعة وبلبل ولة العيش والثنائي سعدة والزرقاء " ثم قالت للجماعة: غنوا جميعاً<sup>(٨)</sup>

(٦) الاغني ٢٠٩/٨.

(٧) المصدر نفسه ٢٠٩/٨.

(٨) المصدر نفسه ٢٠٩/٨.

وإذا ما وقفنا على هذا النص أحصينا المغنين والمغنيات لظهر لنا عدد المغنين والمغنيات قد بلغ ثلاثة وثلاثين مغنياً ومغنية كما في الجدول التالي:

المغنيون	المغنيات
(١) ابن سريج	(١٧) سلامة
(٢) سعيد بن مسجح	(١٨-١٩) برد الفواد، ونومة الضحى (الثانيتين)
(٣) معبد	(٢٠-٢٢) فند ورحمة وهبة الله (الثلاثي النسائي)
(٤) ابن محرز	(٢٣-٢٤) حبابة وسلامة (الثانيتين)
(٥) الغريص	(٢٥) عزة
(٦) ابن عائشة	(٢٦) خليفة
(٧-٨) نافع وبديع (الثانيان)	(٢٧-٢٨) عقيلة والشماسية (الثانيتين)
(٩-١١) الهذليون	(٢٩-٣١) قرعة وبليلة ولذة العيش (الثلاثي النسائي)
(١٢) نافع بن طنبورة (نقش الغضار)	(٣٢-٣٣) سعدة والزرقاء (الثانيتين)
(١٣) مالك	
(١٤) طويس (أبو عبد النعيم)	
(١٥) الدلال (أبو زيد)	
(١٦) هيت	



أما الأصوات التي غنت في هذا اللقاء الضخم فكانت كالآتي:

عمر بن أبي ربيعة	عمر بن شمس	كثير	للنابغة	عترة	الأعشى	أصوات لم يغن فيها الشعراء	المجموع
٣	١	١	١	٤	١	١٣	٢١

#### ٤- رعاية أهل الغناء:

إن شيوع الغناء كان مرتبطاً بالثروة الهائلة التي كانت تصب على قريش والأنصار وكان الشعر مرتبطاً بالغناء حيث كان شعر الغزل يكون المادة لهذا الفن وكان النقد مرتبطاً بهذا الشعر الغزلي حيث كان الشاعر يحسن أو يسيء في التعبير عن عواطف المرأة ومخاطبتها. وكان هؤلاء الكرماء من قريش خلف تلك النهضة الغنائية ومن الكرماء الذين شاع جودهم عبيد الله بن العباس الذي شاطر الحسين بن علي نصف ماله حين حبس معاوية عنه أرزاقه وهو " أول من فعل ذلك في الإسلام " (٩) وأعطى لأعرابي نفقة طريقه إلى الشام لأنه ذبح له شاة كانت كل ما يملك من دنياه وحين لامه غلامه على ذلك ويأته لا يعرفه قال " إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة فجاد لنا بها وإن كان لا يعرفنا فأنا اعرف نفسي، ارمي بها إليه، فرماها فكانت خمسمائة دينار " (١٠) ووهب هدية معاوية إليه وكانت حلاً كثيرة إلى حاجبه بعد أن رآه يطيل النظر إليها " (١١).

وحدث مثل هذا من حديث الشاة مع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حين نزلوا على أعرابية وأطعمتهم لحم شاتها بعد أن سقّتهم من لبنها ولم يكن معهم شيء فقالوا للعجوز: " نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فأنا

(٩) خزاعة الأنسب للبغدادي ٢٥٧ / ٣.

(١٠) المصدر نفسه ٥٩٣ / ٣.

(١١) ثمرات الأوراق للحموي ١٢٩ / ١.

صانعون إليك خيراً" ولامها زوجها وألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة فرآها الحسن فقال لها: "يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا! قال: أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا، قالت: بابي أنت وأمي! ثم اشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف درهم، وبعث بها مع غلامه إلى الحسن فأمر لها بمثل ذلك، وبعث لها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين قالت: بألفي درهم وألفي شاة فقال لها: لو بدأت بي لأتبعتهما بالعطاء، أعطوها عطيتهما" (١٢) وشاع كرم عرابة الاوسي وقيس بن سعد إلى جانب شيوع عبد الله بن جعفر. ورأى عبد الله بن جعفر عبداً اسود في حائط قوم قد رمى برزق يومه إلى كلب جائع فقال له: "يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال ما رأيت! قال فلم أثرت الكلب؟ قال لان أرضنا ليست بأرض كلاب وأخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت رده. فقال: فما كنت صانعاً اليوم؟ قال: اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر: والله إن هذا لأسخى مني فاشترى النخل والعبد واعتقه ووهب ذلك له ...." (١٣) ففي مثل هذا الجو من الجود والكرم ترعرع الغناء وكان اقرب هؤلاء إلى رعاية المغنين عبد الله بن جعفر الذي فاقت قصص كرمه الخيال حتى حجر عليه في فترة من حياته الخليفة علي بن أبي طالب وترك مؤلف الأغاني في أخباره عن تعلق المغنين بسبب ما يعطي وما يهب، قال: "جلست جميلة يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواربها شعوراً مسدلة كالعناقيد إلى أعجازهن والنبتة أنواع الثياب المصبغة، ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهن بأنواع الحلبي ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستقريه ...،" (١٤)

(١٢) المصدر نفسه ١ / ٢٤.

(١٣) المصدر نفسه ١ / ١٠٢.

(١٤) المستطرف للابشيبي ٢ / ٣٦.

(وقالت في رسالتها) وبالكتاب تسألك وبحق الرسول ندعوك أن كنت نشيطا لمجلس  
 هيأته لك لا يحسن إلا بك ولا يتم إلا معك فلما صار إلى بابها فنظر إلى ذلك الحسن  
 البارع والهيئة الباذة فأعجبه ووقع من نفسه فقال: يا جميلة لقد أتيت خيرا كثيرا ما  
 لحسن ما صنعت! فقالت سيدي أن الجميل للجميل يصلح، ولك هيأت هذا المجلس  
 فجلس عبدالله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجواري صفين فأقسم عليها  
 فجلست غير بعيد ثم قالت: يا سيدي ألا غنيتك فقال: بلى فغنت: "

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه  
 يضيء ظلام الليل كالقمر البدر  
 كهولهم خير الكهول ونسلهم  
 كنسل الملوك لا يبور ولا يحزي  
 أبوكم قصي كان يدعى مجمعا  
 به جمع الله القبائل من قهر

ثم دعت لكل جارية يعود، وامرتهن بالجلوس على كرسي صغار قد أعدتها  
 لهن، فضربن وغنت عليهن هذا الصوت وغنت جواريها على غنائها، فلما ضربن  
 جميعا قال عبد الله ما ظننت أن مثل هذا يكون، انه لمما يفتن القلب...." (١٥)

ففي مثل هذا نما الغناء وبعث الشعراء على النظم وكان المال خلف ذلك يحث  
 المغنين على الإبداع والبدخ والترف وكان كرماء قريش وغيرهم يستحثون هؤلاء  
 الإبداع في الغناء والتجويد فيه.

## ٥- النسب القرشي :

سادت قريش بنسب الرسول الكريم قبائل العرب فكانت السلطة السياسية فيها واستولت كذلك على النشاط الفكري في القرن الأول فكان فيها الفقهاء ونبغ فيها الشعراء وتميزت نساء قريش المنققات في النقد واستمع لهن الشعراء واخذوا بما يردن منهم في متطلبات الفن واصبح الزواج من القرشيات يعد مفخرة للإنسان وكان لكرم الزوجات ما يتم بين الرجل ونساء بني هاشم فقد حاول الحجاج الدخول إلى هذا النسب بزواجه من ابنة عبد الله بن جعفر ولكن الحمية القرشية دفعت عبد الملك بن مروان أن يطلب من الحجاج طلاق ابنة عبد الله بن جعفر فطلقها وكانت نفسها راضية من الزواج إلى رجل مثل الحجاج<sup>(١٦)</sup>.

وتزوج عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان من فاطمة بنت الحسين بعد موت زوجها الحسن بن الحسن<sup>(١٧)</sup> وتزوج طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر فاطمة بنت لتقاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب بعد موت زوجها حمزة بن عبد الله بن الزبير<sup>(١٨)</sup> وأنقض عمر بن عبد العزيز زواجه من أم هشام زوجة عبد الرحمن بن هشام بعد أن أخبره أخو زوجها بأنها قد " عجلت بالزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام "<sup>(١٩)</sup>.

وكانت المفخرة بالنسب قد حملت الاحوص على مجاوزة قدره ففخر بجده الذي حمته الدبر من أعدائه واحتمله السيل وكانت أم قتلتة قد أقسمت لتشرين الخمر

(١٦) أخبار النساء ص ٨٣.

(١٧) المصدر نفسه ص ١٤٩.

(١٨) المصدر نفسه ص ١٤٩.

(١٩) المصدر نفسه ص ١٥٠.

يقحف رأسه فقال مقاخرا سكينه التي فخرت بجدها عند الأذان:

فتحرت وانتمت فقلت:

زريني ليس جهل أتيت به ببديع

فأنا ابن الذي حمت لحمه الدبر، قتيل اللحيان يوم الرجيع

غسلت خالي الملائكة الأبرار، طوبى له من صريع

" فأمر الوليد واليه عمر بن عبد العزيز بجلده لذلك " (٢٠) وكان أوباش العرب

يعادون آل البيت على هذا النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد

كتب الحسن بن علي رسالة إلى زياد بعد أن استلحقه معاوية: " من الحسن بن علي

إلى زياد "

فغضب زياد إذ قدم الحسن نفسه عليه ولم ينسبه إلى أبي سفيان وكتب إليه:

" من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة .... فان احب لحم علي أن آكله

للحم الذي أنت متة! " وكان جواب الحسن بن علي: من الحسن بن فاطمة إلى زياد

بن سمية، أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الولد للفراش وللعاهر

الحجر والسلام " (٢١)

وقد يعجب الإنسان ما الذي كان يفعله أوباش الناس في سبيل الانتساب إلى

قريش ولا أظن أن كرم النفس يرضى لشخص أن يفعله بنفسه ما فعله زياد بن

أبيه في سبيل هذا النسب إذ قبل أن تنسب أمه إلى الزنا من أبي سفيان في سبيل أن

ينتمي إلى البيت الأموي (٢٢).

(٢٠) تاريخ الأدب العربي: الدكتور عمر فروخ ج ١ ص ٦٣٨.

(٢١) رسائل العرب، للرسالة ٣٢، ٣٣، ج ١، ص ٢٧.

(٢٢) أخبار النساء ص ٢١٢.

فقد تربع النسوة القرشيات على عرش النقد الأدبي النسائي لما كن يشعرن به من شرف يؤهلهن بمثل هذا الدور النقدي وكانت سكيئة تمتلك النسب الذي يعلو هام الثريا فجدها محمد وجدتها فاطمة بنت محمد وجدها لأبيها علي بن أبي طالب وأبوها الحسين بن علي ومن خلال هذه العزة توجهت إلى الشعراء في نقدها وطلبت منهم أن يخاطبوا المرأة بما يليق بها من الصفات، فسكيئة أدركت في ثقافة بيتها التي نزلت فيه سور الكتاب ورتلت فيه أن القرآن أكرم المرأة وحفظ لها حقها في الحياة فأرادت من الشعراء أن يقدروا المرأة وأن يحترموها كما احترمها الإسلام وقد اخذ نسوة جيلها عنها هذا الموقف الذي انعكس في نقد نساء البيت الأموي ونساء قريش الأخريات ومن تأثر بهن من بقية النسوة.

#### ٦- الشعراء والناقدات:

تعرض بعض الشعراء إلى النقد أكثر من تعرض غيرهم، وذلك فإتنا سوف نسلسل الشعراء حسب المادة النقدية التي توفرت حول شعرهم.

#### أ- كثير عزة:

كان كثير عزة أكثر الشعراء الذين تعرض لهم النسوة في النقد ويبدو أن المرأة العربية كانت تعجب بهيكل الشاعر قبل شعره في أن يكون جميلاً نحيلاً له خصائص العاشق والمتولة فان قول عمر ابن أبي ربيعة:

قد عرفناه وهل يخفى القمر

يحمل مضمون ما أردنا قوله وأن الشعراء الذين لم يمرضهم العشق ولم ينحلهم فكان يظن بهم الكذب في العشق ولذلك فان ابن قيم الجوزية في كتابه أخبار النساء يقول:

"وأما أهل الدعاوى الباطلة، التي ليس أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة ولا عقولهم بذهابة فهم عند ذوى الفراسة يكذبون" (٢٣) "وقال مرة أخرى: "والعرب تمدح أهل النحول وتذم أهل السمن والجسوم وتغفيم عن الأدب، وتتسب أهل النحول إلى المعرفة وحسن البيان وأهل السمن إلى الغباوة وبعد الأذهان" (٢٤).

وكان كثير لا يغري جسمه المرأة ولا تتمناه، فقد كان قصيرا يبلغ طوله عدة أشبار وترك ذلك عليه أثرا نفسيا، فقد كان جافيا لا يحسن مخاطبة المرأة أو مجاملاتها وإن ظهر عكس ذلك من شعره وأنه تمدح بصفاته وأظهر إعجاب المرأة به وإكبارها له، إضافة إلى ذلك فإن عقيدة كثير كانت مشبوهة فهو من الكيسانية الذين يقولون بالرجعة والرجعة مذهب قد يقترب من عقيدة الهنود التي تقول بالتناسخ وانتقال روح الإنسان من جسد إلى جسد.

والمرأة بشكل خاص لا يهتمها من الرجل إلا منظره وقد لا تعطي أهمية للمخبر إذا كان منظره يجذبها إليه.

ولعل في مناقشة غاضرة (جارية بشر بن مروان) ما يوضح ذلك كل الوضوح، فهي قد سخرت منه أكثر مما سخرت من شعره. "قال السائب راوية كثير، والله أتى لأسير يوما مع كثير حتى إذا كنا من المدينة على أميال لقينا امرأة في رحالة متقبة معها عبيد لها يسعون معها فمرت جنابي فسلمت فقالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز، فقالت: فهل تروي لكثير شيئا؟ قلت نعم، قالت: أما والله ما كان في المدينة من شيء هو أحب الي من أن أرى كثيرا واسمع شعره، فهل تروي قوله:

(٢٣) أخبار النساء ص ٦٠.

(٢٤) المصدر نفسه ص ٦٢.

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أهاجك برق آخر الليل واصب

قلت: نعم، فأنشدتها إياها إلى آخرها، قالت: فهل تروي قوله:

كانك لم تسمع ولم تر مثلاً

تفرق آلاف لهن حنيني

قلت: نعم، وأنشدتها، قالت:

فهل تروي قوله أيضاً

أطلال سعدى باللوى تتعبد

قلت: نعم، وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بمائها

علي ولا مثلي على الدمع يحصد

قالت: قاتله الله، فهل قال قول كثير أحد على الأرض؟ والله لأن أكون رأيت

كثيراً أو سمعت منه شعره أحب إلي من مائة ألف درهم.

قال السائب: فقلت هو ذلك الراكب أمامك، وأنا السائب راويته، فقالت حياك

الله ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت أنت كثير؟ قال مالك وبك، فقالت أنت الذي  
تقول:

إذا حسرت عنه العمامة راعها

جميل المحيا أغفلته ألد واهن

والله ما رأيت عربياً قط أتبع ولا أحقر ولا ألام منك قال: أنت والله أتبع مني

والأم قالت: ألسنت النقاتل:



تراهن إلا أن يؤدين نظرة  
بمؤخر عين أو يقلبن معصما  
يحاذرن متي غيرة قد عرفنها  
قدیما، فما یضحكن إلا تبسما

لعن الله من يفرق منك! قال: بل لعنك الله، من أنت؟ قالت: لا يضرك إن لم  
تعرفني، قال: والله إني لأراك لنيمة الأصل والعشيرة.

قالت: حياك الله يا أبا صخر، ما كان بالمدينة رجل احب الي وجها ولا لقاء  
منك، قال: لا حياك الله، ولكن ما على الأرض أحد ابغض الي وجها منك!  
قالت: أتعرفني؟

قال: اعرف انك لنيمة من اللثام، ثم تعرفت إليه فإذا هي غاضرة أم ولد بشر  
بن مروان<sup>(٢٥)</sup>.

ولعل في مداعبة غاضرة له تفسير في موقف النساء الساخر من قصره، وربما  
قبحه وفضاضته.

وفي مجالس سكينة بنت الحسين التي حضرها كثير أشارت إلى هنات فنية في  
قصور كثير عند تصويره نفسية المرأة، وفي إحدى مجالس سكينة للشعراء خرجت  
جارية لها فقالت:

أيكم كثير؟ أنت القائل:

أعجبني يا عز منك مع الصبا

خلاتك صدق يا عز أربع

دنوك حتى يذكر الذاهل الصبا

ورفعك أسباب الهوى حين يطمع

وانك لا تدريين دينا مطائنه

أيشتد من جراك أو يتصدع

ومنهن إكرام الكريم وهفوة (م)

النسيم وخلات المكارم تتفع

أدمت لنا بالبخل منك ضريرة

فليتك ذو لونين يعطي ويمنع.

قال: نعم، قالت: ما جعلتها بخيلة تعرف بالبخل ولا سخية تعرف بالسخاء:.. وفي الأغاني أنها قالت له أعطاك الله منك<sup>(٢٦)</sup> وتعلق سكينه يعيب كثيرا في أنه لم يغاب طبيعة على أخرى والإنسان في الأعم الأغلب له مزاج واحد غالب على سلوكه ولعل التناقض في السلوك ينم عن الخبط والملك والكذب.

وفي مجلس آخر من مجالس سكينه مع الشعراء "إن سكينه بنت الحسين قالت لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها:

أشأقك برق آخر الليل وأصب

تضمنه فرش الجبا فالمسارب

تألق واحمومي وخيم بالربي

أحم الذرى ذو هيدب متراكب

(٢٦) الموشح ص ٢٠٢ والأغاني ١ / ١٩٦

إذا زعزعته الريح أزرمت جانب

بلا خلف منه وأومض جانب

وهبت لسعدى ماءه ونباته

كما كل ذي ود لمن ود واهب

لتروى به سعدى ويروى صديقها

ويغدق أعداد له ومشارب

قالت: أتهب غيثاً؟ جعلك الله والناس فيه أسوة؟ فقال: يا بنت رسول الله صلى

الله عليه وسلم: وصفت غيثاً فأحسنته وأمطرته وأنبتته وأكمامته ثم وهبته لها فقالت:

فهيلا وهبت لها دنائير ودراهم....» (٢٧).

ولعل سكينه أعرف بنفسية المرأة وما تحب أن تعطى. فالمال ما زال مغزياً

للمرأة أكثر من الكلام المعسول والقول الذي لا يخلف شيئاً.

وفي مجلس آخر من مجالسها قالت له: أنت القائل:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

لعزة من إعراضنا ما استحات

فما أنا بالداعي لعزة بالجووى

ولا شامت أن نعل عزه زكت

وكننت كذي رجلين: رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فثلت

قال: نعم: أحسن الله إليك<sup>(٢٨)</sup> وسكينة تمتدح فيه وفاءه لعزة وإجلاله لها وكأنيما تقول قد أصبت في قولك هذا.

وفي مجلس من مجالس عقيلة بنت عقيل وهي غير معروفة تماما فيما كانت بنت عقيل بن أبي طالب فعلا أو أن الاسم كان كناية عن سكينة نفسها. إلا أن تعليقها على شعر الشاعر لا يشبه أسلوب سكينة في النقد الهادي الممتزن.

" قيل (لعقيلة): هذا كثير عزة والإحوص بالباب، فقالت: ائذنوا لهما ثم أقبلت على كثير فقالت: أما أنت يا كثير فالأم العرب عهدا في قولك:  
أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلى بكل سبيل!

ولم تريد أن تنسى ذكرها؟، أما تطأبها إلا إذا مثلت لك أما والله لو لا بيتان قلتهما ما التفت إليك وهما قولك:

فيا حبيبا زدني جوى كل ليلة

ويا سلوة الأيام موعداك الحشر

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها

فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر<sup>(٢٩)</sup>

وان عقيلة لا ترى في قوله: " أريد لأنسى ذكرها " عشقا ولا حبا وكان كثيرا يريد أن يقول: بعيدة عن العين بعيدة عن القلب وهذا في رأى عقيلة - وهي مصيبة - ليس من الحب ولا فاعله من أهل العشق الحق والوجد انشابت في القلب.

(٢٨) الأغاني ١ / ١٩٦.

(٢٩) الموشح ص ١٩٥.

وفي مجلس آخر لها مع جميل بثينة والأحوص وكثير، أمرت فأخرج العذري  
والأحوص " وأمرت جواربها أن يكتفنه ( أي كثيرا ) وقالت له " يا فاسق أنت القائل:  
أب أن زم أجمال وفارق جيرة

وصاح غراب البين أنت حزين؟

أين الحزن إلا عند هذا؟ خرقت ثوبه يا جواربي، فقال: جعلني الله فداك إنني قد  
أعقبت بما هو أحسن من هذا ثم انشدها:

أأزمت بينا عاجلا وتركتني

كنيبا سقيما جالسا أتلد

وبين التراقي واللهاة حرارة

مكان الشجا ما تطمن فتبرد

فقال: خلين عنه يا جواربي، وأمرت له بمائة دينار وحلة يمانية فقبضها  
وانصرف " (٣٠) والفارق في العاطفة بين في قوله الأول وقوله الأخير. ففي بيته "  
أب أن زم أجمال " عدم مبالاة بمن يرحل أو بمن يقيم. وإن رحيل المحب لا يستوجب  
الحزن فكان لوم عقيلة له على قوله ذلك وغضبها المداعب له ما يبرره وقد محى  
عن نفسه اللوم والذم في بيتيه الآخرين اللذين يفضان بالعاطفة واللوعة والشوق.

" لاثنين فاتأها فقالت قطام لكثير: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه... الحمد

لله الذي قصر بك فصرت لا تعرف إلا بعزة فقال: والله ما قصر الله بي فقد سار بها  
شعري، وطار بها ذكري، وقرب بها مجلسي وطابت نفسي، وأنها كما وصفت...  
قالت: والله لم أر شاعرا أقل عقلا، ولا أضعف وصفا منك وهي في ذلك تشير إلى  
قوله:

(٣٠) المصدر نفسه ص ١٩٥.

بأطيب من أردان عزة موهنا

إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

" والله لو فعل هذا بزنجية لطاب ريحها، لامرؤ القيس اشعر منك وأوصف

حيث يقول:

ألم تر أنني كلما جئت طارقاً<sup>(٣١)</sup>.

وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقد تعرض كثير بسبب هذا البيت إلى نقد كثير وسنأتي على ذكره، ولعل قطام

هي أول من سجلت هذا الاعتراض على كثير وكانت قطام تشير إلى أن العطر الذي

يخفي رائحة المرأة الكريهة لا يتغزل به فهو أقرب منه إلى هجاء المرأة. ومن النساء

اللواتي تناولن شعر كثير بالنقد ( عزة ) التي عرف الشاعر بها وكانت ترى في

بعض صوره ما لا يليق بهما كعاشقين أو كانت ترى في شعر الشعراء الآخرين ما

هو أجود من شعر كثير وكانت أحياناً ترد عليه ادعاءه ومبالغته في لقائه بها أو

وعدها له قال كثير:

ألا ليتنا ياعز كنا لذي عني

بعيدين نرعى في الخلاء ونعزب

نكون لذي مال كثير مغفل

فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

إذا ما وردنا منهلاً هاج أهله

إلينا فلا تنفك نرمي ونضرب

(٣١) الموشح ص ١٨٦.

فقال عزة: أردت لي الشقاء الطويل، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحالة<sup>(٣٢)</sup> وهي أبيات وصفت في عيار الشعر لابن طباطبا بأنها من الأبيات التي زادت قريحة قائلها على عقولهم، ولا شك في إن ملاحظة ابن طباطبا جاءت معتمدة على احتجاج عزة الصارخ على هذه الصورة التي فيها من عذاب المحبين أكثر من عزلتهما في ظروف هائلة سعيدة. وفي خبر يروي احتجاجات عزة في الموشح قال: "دخلت يوما عزة على كثير متكرة فقالت: انشد أشد بيت قلته في حب عزة قال: قلت لها:

وجدت بها وجد المضل قلوصله

بمكة والركبان غاد ورائح

فقالت: لم تضع شيئا قد يجد ناقة يركبها! فأطرق ثم قال:

وجدت بها ما لم يجد ذو حرارة

يمارس حمات الركي النوازع

فقالت له: لم تضع شيئا، قد يجد هذا من يسقيه!

فأطرق ثم قال:

وجدت بها ما لم تجد أم واحد

بواحدتها تطوى عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت: إذ كان ولا بد فهذا!!!!<sup>(٣٣)</sup> وكانت عزة في هذا ناعدة فذة حقا فهناك من الوجد والحزن ما ينسي إذا وجدنا بديل ما فقدناه من الحاجات المادية ولكن

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٨٩.

(٣٣) المصدر نفسه ص ١٨٢.

أين البديل لمن يموت واحدها؟! وكان عليها أن ترضى بهذا الوجد الدائم حين يجده الشاعر بها الذي يشبه وجد التكللى التي فقدت واحدها.

وفي صورة من الصور الفنية المقارنة تفضل عزة قول الأحوص على قول كثير قال: "دخل كثير عبدالرحمن على عزة فقال: ما ينبغي أن نأذن لك في الجلوس، قال: ولم ذلك؟ قالت: لأنني رأيت الأحوص ألين جانباً عند القوافي منك في شعرد وأضرع خدا للنساء وانه الذي يقول:

يا أيها اللانمي فيها لأصرمها

أكثر ولو كان يغني عنك إكثار

أقصر فلست مطاعاً إذ وثيت بها

لا القلب سال ولا في حبها صار..

فقال لها كثير: والله لقد أجاد، فما استجفيت من قلبي؟ قالت: فذاك قولك:

وددت وبيت الله أنك بكرة

هجان واني مصعب ثم نهرب

كلانا به عر فمن يرنا يتل

على حسنها جرباء، تعدي وأجرب

نكون لذي مال كثير مغفل

فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

إذا ما وردنا منيلاً صاح أهله

عينا فما تنفك تنفي ونضرب

ويحك لقد أردت في الشنعاء ما وجدت أمنية أوطأ من هذه؟ فخرج من عندها



خجلاً<sup>(٣٤)</sup> وكان كثير قد يبتهر ويدعي ما لم يفعله، وينقل روايته السائب خبراً مع عزة تلومه فيه عزة على ذلك قال السائب: خرجت مع كثير وهو يريد عبدالعزيز بن مروان، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فسلمنا جميعاً على أهل الخباء، فقالت عزة: عليك يا سائب السلام ثم أقبلت على كثير فقالت: ألا تتقي الله أرايت قولك: ياية ما أتيتك أم عمرو

فقلت بحاجتي والبيت خال

ويحك! خلون معك في بيت قط؟ فقال: لم أقله ولكني الذي يقول:

فأقسم لو أتيت البحر يوماً

لأشرب ماء سقتني من بلال

وأقسم أن حبك أم عمرو

لدى جنبي ومنقطع السعال

فقالت: أما هذا فعسى...<sup>(٣٥)</sup>

ويبدو أن عزة وبثينة وغيرهما لم يكن يقابلن عشق الشعراء بالعشق إنما بالمودعة والملاطفة وابتغاء الشهرة بشعر الشاعر فقد كانت عزة تحاول أن تمتحن الشاعر في أقواله وعواطفه وتحاول أن تكذبه فيها ولا تقبل منه إلا الشعر الذي يؤكد على منعها العطاء ورفضها حب الشاعر ولا أظن في هذا ما يمكن أن يسمى عشقاً من جانب المرأة فقد كان أغلب العذريين اشد تعلقاً بالمرأة من المرأة بهم، ولعل هذا الخبر الطريف يكشف هذه العلاقة بين الشاعر والمرأة قال:

(٣٤) ذيل زهر الأدب ص ١٥٠ وانظر الموشح ص ١٨٩ وفي قول عزة في الخبرين خلاف قليل.

(٣٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٤٦.

" خرج كثير إلى مصر وعزة بالمدينة فاشتاق إليها فقام إلى بغلة له فأسرجها، وتوجه نحو المدينة لم يعلم به أحد. فبينما هو يسير في التيه بمكان يقال له: فيفاء خريم إذا هو بعير قد أقبلت من ناحية المدينة في أوائلها محامل فيها نسوة وكثير ملتثم بعمامة له، وفي النسوة عزة، فلما نظرت إليه عرفته وأكرها وقالت لقائد قطارها: إذا دنا منك الراكب فاحبس، فلما دنا كثير حبس القائد القطار فابتدرته عزة فقالت: من الرجل؟ قال: من الناس! قالت: أقسمت قال: كثير قالت: فأين تريد في هذه المفازة؟ قال ذكرت عزة وأنا بمصر فلم اصبر أن خرجت نحوها على الحال التي ترين!

قالت: فلو أن عزة لقيتك فأمرتك بالبكاء كنت تبكي؟ قال نعم: فنزعت عزة اللثام عن وجهها وقالت: أنا عزة، فإن كنت صادقاً فافعل ما قلت! فأفحم فقالت للقائد قد قطارك، فقاده وبقي كثير مكانه لا يحير ولا ينطق حتى توارت، فلما فقدها سالت دموعه وأشد يقول:

وقضينا ما قضينا ثم تركنا نبي

بفيفا خريم قائما أتتدد

تأطرن حتى قلت بوارحنا

وذبن كما ذاب السديف المسرهد

قول لماء العين أمعن لعله

لما لا يرى من غائب الوجد يشهد

فلم أر مثل العين ضنت بمائها

علي ولا مثلي على النمع يحسد

## وبين التراقي واللهاة حرارة

مكان للشجي ما أن تبوخ فتبرد<sup>(٣٦)</sup>

وهي لا تفتخر بشعره الذي قاله فيها عموما وإنما كانت تفتخر بالشعر الذي وصفها فيه بالبخل أو بمعنى آخر بعدم حبها للشاعر لأنها لو كانت تحبه لما كانت تبخل عليه بشيء إلا إذا كان ذلك تظاهرا يفرضه عليها المجتمع أو عفة مصطنعة أو كما ندعوه اليوم كان نفاقا اجتماعيا حين تفعل المرأة ما لا تصرح به وتصرح بغير ما تفعل وفي هذا الخبر ما يكشف ذلك وهي تحاور الخليفة قال: " وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف إلى عزة وقال لها: أنت عزة كثير قالت: ليس لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية قال: أتروين قول كثير فيك:

لقد زعمت اني تغيرت بعدها

ومن ذا الذي ياعز لا يتغير

تغير جسمي والخليفة كالتني

عهدت، ولم يخبر بسرك مخبر

قالت: لست اروي هذا، ولكني اروي غيره حيث يقول:

كأنني أنادى صخرة أعرضت

من الصم إذ يمشي بها العصم زلت

(٣٦) للشعر والشعراء ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

## صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة

فمن مل منها ذلك الوصل مت (٣٧)

ويبدو أن كثيرا والشاعر العذري عموما كان أكثر إخلاصا للمرأة ولعل شهرته بها جعل يحرص على أن يعرف عنه تعلقه بتلك الواحدة فقط حفاظا على شهرته بها قال:

"بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد إلى كثير فقالت له: يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقوله من الشعر في عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال؟ لو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هن أولى به منها أنا أو مثلي فأنا أشرف وأوصل من عزة، وإنما جربته بذلك فقال:

إذا ما أردت خلة أن تزيننا أئينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا أن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل

لها مهل لا يستطيع دراكه وسابقة في الحب ما تتحول

فقالت عائشة: والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك بخلة وعرضت علي وصالك

وما أريد ذلك وإن أردت ألا قلت كما قال جميل بشينة:

ويقلن أنك قد رضيت بباطل

منها، فهل لك في اعتزال الباطل

ولباطل ممن احب حديثه

أشهى الي من البغيض الباذل

ولرب عارضة علينا وصلها

بالجد تخطئه بقول اليازل

(٣٧) أخبار النساء ص ٤١.

فأجبتها في الحب بعد تستر

حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي قدر قلامة

حب وصالك أو أنتك رسائي<sup>(٣٨)</sup>

ولعل عائشة بنت طلحة كانت راغبة فعلا في الشهرة فأرادت مواصلة الشاعر على ذلك ولكن عجز كثير أن يخاطب نقاط الضعف في الأنثى جعلها اقرب إلى النفرة منه إلى القرب أو حب التقرب منه وكانت عائشة قد تعلق بها الشاعر الحارث بن خالد المخزومي ولعلها أرادت منافسة عزة وبثينة في الشهرة التي حصلتا عليها. وفي حوارات ونقاش بين الشاعر وعدد من النسوة لم يسمين تتكرر بعض الملاحظات السابقة. فالنص السابق مع عائشة يروى له مع أم بثينة التي لامته على الشعر الذي قاله لعائشة وفضلت جميل عليه في الأبيات نفسها التي ذكرناها في الخبر<sup>(٣٩)</sup>، وورد الخبر الذي روي له مع قطام مرويا عن المرأة اعترضت على تطيب عزة كما وصفها الشاعر وقالت له: "فض الله فاك أرايت لو أن ميمونة الزنجية بخرت بمندل رطب أما كانت تطيب رائحتها إلا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألم تر أني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب<sup>(٤٠)</sup>

ويروى في الموشح الخبر الذي كلمت به قطام كثيرا بصيغة أخرى وعن

امرأة لم يذكرها الرواة قالت:

(٣٨) الشعر والشعراء ص ٣٤٤.

(٣٩) كتاب الأنكباء لابن الجوزي ص ١٩٧.

(٤٠) الموشح ص ١٨٤.

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

" قد والله رايتك فما أخذتك عيني " (٤١) مع بقية الخبر الذي ورد فيه قول قطام للشاعر ونلاحظ في الخبر الذي ذكرناه ازدياد المرأة للشاعر بسبب قصره وضآلة جسمه. ويروي خبر التبخر بالمندل الرطب وعيب الناقدات ذلك عليه عن امرأة عمياء قال له:

ويحك يا هذا! لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك، لطاب ريحها، هلا قلت  
كما قال سيدك امروء القيس " (٤٢) وفي هذا الخبر اختلفت رواية الشعر وروي هكذا:  
وما روضة بالحزن طيبة الثرى

يمج الندى جثائها وعزارها  
بأطيب من فيها إذا جنت طارقا

وقد أوقدت بالمجمر الرطب نارها

وورد الخبر الذي روي عن عقيلة بنت عقيل ولومها الشاعر على عدم الحزن عند فراق الأحبة ونعيب الغراب سزويًا عن امرأة مجهولة، قالت له: " إذا لم يكن الحزن عند فراقنجيرة وحنين الإبل فأين يكون؟ " (٤٣)

ويمكن أن نخلص إلى أن حكم المرأة على كثير أنه لم يكن ناجحًا في غزله أخل بما كان يجب أن يعرضه من خضوع للمرأة ورقة في مخاطبتها.

ب- جميل بثينة:

ومما تبقى من أخبار جميل بثينة في زيارته لمجلس السيدة سكينة بنت الحسين يبدو أنها كانت تفضله على الشعراء العذريين لأنه غلبت على شعره الرقة وإنظار

(٤١) الموشح ص ١٨٤.

(٤٢) المستطرف ١ / ٥٥.

(٤٣) الموشح ص ١٩٠.

الخصوع لمن يحب الأمانتي العذبة والشوق والحنين أبدا حين يأتي على ذكر بثينة  
وحبها. دخلت جارية سكية على مولاتها ثم خرجت فقالت:

أيكم جميل؟ قال: أنا قلت: أنت القائل:

لقد ذرفت عيني وطال سفوحها

وأصبح من نفسي سقيما صحيحا

ألا ليتنا كنا جميعا، وإن نمت

يجاور في الموتى ضريحي ضريحها

أظل نهاري مستهما ويلتقي

على الليل روعي في المنام وروحها

فهل لي في كتمان حبي راحة

وهل تنفعني بوحه لو أبوحها؟

قال: نعم قالت: بارك الله عليك، وأنت القائل:

خيلي فيما عشتما هل رأيتما

قتيلا بكى من حب قاتله قبلي؟

أبيت مع الهلاك ضيفا لأهلها

وأهلي قريب، موسعون ذوو فضل

فيا رب إن تهلك بثينة لا أعش

فواقا ولا أفرح بمالي ولا أهلي

ويا رب أن وقيت شيئا فوقها

حتوف المنايا، رب واجمع بها شملي

قال: نعم، قالت: أحسنت، أحسن الله إليك!

وأنت القائل:

ألا ليت شعري هل أبينن ليلة  
 بوادي القرى، إني إذن لسعيد  
 لكل حديث بينهن بشاشة  
 وكل قتيل بينهن شهيد  
 وبأليت أيام الصبا كن رجعا  
 ودعرا تولى يا بشين يعود  
 وإذا قلت ما بي يا بشينة قاتلي  
 من الحب قالت: ثابت ويزيد  
 وإن قلت ردي بعض عقلي اعش به  
 تناعت وقالت: ذاك منك بعيد  
 فما ذكر الخلان، إلا ذكرتها  
 ولا البخل، ألا قلت سوف تجود  
 فلا أنا مردود بما جنت طالبا  
 ولا حبها فيما يبید يبید  
 ليموت الهوى منى إذا ما بقيتها  
 ويحيا إذا فارقتها ويزيد  
 قال: نعم، قالت: لله أنت جعلت لحديثها ملاحه وبشاشة، وقتيلها شهيدا، وأنت  
 النائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودني  
 بشينة لا يخفى علي مكانها  
 قال نعم: قالت: لقد رضيت من الدنيا أن تقودك بشينة وأنت أعمى أصم قال:  
 نعم، ثم دخلت الجارية على مولاتها، وخرجت ومعها مدهن فيه غالية ومنديل فيه



كسوة وصرة فيها خمسمائة دينار. فصبت الغالية على رأس جميل حتى سالت على  
لحيته، ودفعت إليه الصرة والكسوة وقالت: ابسط لنا العذر أنت أشعرهم، وأمرت  
لأصحابه (من الشعراء الذين حضروا المجلس) بمائة مائة<sup>(٤٤)</sup>.

وفي تعليقاتها على المقطعات ورضاها عنها وفي قولها "أنت أشعرهم" إقرارا  
بأن سكينه كانت تفضل جميلا ويذكر صاحب الموشح تعليق سكينه على البيت  
الأخير كالتالي:

"أفرضيت من نعم الدنيا وزهرتها أن تكون أعمى أصم إلا أنه لا يخفى عليك  
كلام بثينة قال نعم...<sup>(٤٥)</sup> ولعل الشاعر لم يدرك التناقض الذي أرادت سكينه أن  
تنبهه إليه فكيف للأصم - وهو لا يسمع - يكون ممن لا يخفى عليه كلام من يحب  
دون الناس؟

ومن المآخذ التي أخذتها عليه عقيلة بنت عقيل قوله:

قلو تركت عقلي معي ما بكيته

ولكن طلابها لما فات من عقلي!

ثم قالت: "أنت تطالبها عند ذهاب عقلك [ لا بحبك لها ] لولا أبيات بلغتي عنك

ما أذنت لك وهي:

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل

إلى اليوم ينمي حبها ويزيد

فلا أنا مرجوع بما جئت طالبا

ولا حبها فيما يبيد يبيد

(٤٤) الأغاني ١/ ١٩٦.

(٤٥) للموشح ص ٢٠٣.

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها

ويحيى إذا فارقتها فيعود! (٤٦)

وتقف عقيلة إلى جانب سكينه في تفضيله في قول الأخير، وما أخذته عليه لم يمنعها من الإعجاب بأشعاره الأخرى، فهي إلى جانب جميل أيضا.

وكان بين بثينة وجميل من النقد ما كان بين كثير وعزة، فقد كان لبثينة بعض المآخذ على أشعاره فيها، قال:

"لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبنا طويلا فقالت له: ويحك يا جميل أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى

وفي الغر من أنيابها بالنقود ح

فاطرق طويلا يبكي ثم قال: بل أنا النقاتل:

ألا ليتني أعمى أصم تفودني

بثينة لا يخفى علي كلامها

فقالت: ويحك، ما حملك على هذه المنى؟ أليس في سعة العافية ما كفانا

جميعا؟ (٤٧) وبذلك يمكن أن نقول إن مقام جميل في التقويم النقدي كان أعلى مرتبة

من تقويم كثير، ولعل لشخصية جميل ومركزه الاجتماعي وغناه أثر في ذلك فإن

(٤٦) الموشح ص ١٩٢.

(٤٧) الأغاني ٨ / ١٠٤.

العاشق الغني مع غناه وقدرته على الزواج أو التسري يكون أكثر شهرة من العاشق  
الفقير الذي يعشق واحدة لأنه ليس له القدرة على غيرها فهو مضطر في عشقه  
وليس مختاراً.